العرب
الجمعة 2021/09/10
السنة 44 العدد 12175



# الجوائز أصبحت البديل الموضوعي للنقد

## الروائي المصري محمد علي إبراهيم: على القارئ أن يمارس عنصريته بنفسه

لا يمكن إنكار أن الجوائز الأدبية ساهمت في تحريك المشهد الأدبي العربي بشكل كبير، ولا أدل على ذلك من عودة الكثير من الكتاب إلى كتابة القصة القصيرة بعد إطلاق جائزة الملتقى الخاصة بهذا الجنس الأدبي، واتجاه شعراء ونقاد وغيرهم إلى كتابة الرواية لأهمية جوائزها. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الكاتب المصري محمد علي إبراهيم حول الرواية والجوائز.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

ماذا يحدث إن خلعنا أجسادنا وتعاملنا كأرواح فقط؟

تأتي أبرز تجليات أفكار ورؤى الكاتب والروائي والقاص المصري محمد علي إبراهيم من انشغالاته بالواقع وتساؤلاته المهمشة عن الحياة والموت، الحرية والقمع، الروح والجسد، الغياب والحضور، حيث يلتقط تلك التساؤلات من علاقاتها بحيوات الناس وأزمنتها وأمكنتها، والأحداث التي يمرون بها باختياراتهم أو تلك المكرهون على تلقيها ومعاركتها، وهو الأمر الذي انعكس على لغة سرده وأسلوبه فجاءت مفعمة بروح الشعر والمعرفة مشحونة بتعددية العوالم وثراء الدلالات.

وربما كان لدراسته لهندسة التعدين والفلزات وعمله بنفس التخصص أثره على تلك الأفكار والتساؤلات التي هي نتاج حفر وبحث وكشف، فالأرض وما تحمله في باطنها من معادن لم تتكون في يوم وليلة بل تشكلت عبر الآلاف من السنين، وهذه الثروات التي تحملها الأرض في باطنها نتاج تفاعلات بين مكونات حية وميتة. وهكذا الحيوات تراكمات وتفاعلات بفعل الأزمنة والأمكنة.

### رواية «روح»

قدم إبراهيم خمس روايات "الجدار الأخير"، "الولد كوريا"، "أعلمها اللمس"، "حجر بيت خلاف"، وأخيرا "روح" الصادرة عن دار تبارك للنشر، ومجموعتين قصصيتين؛ "تأريخ لا يروق لكم"، "طعم البوسة"، و"أنت حر ما دمت عبدي" (متتالية قصصية)، وفي الشعر قدم مجموعتين؛ "مواويل الثرى"، "صحاب". وفي هذا الحوار ننطلق معه من الرواية الأخيرة "روح" لنتعرف بعدها على تجليات رؤاه الروائية.

بداية يؤكد إبراهيم أنه لم يكتب بعد روايته الأخيرة، ويقول "هناك رواية انتهيت من كتابتها بعد 'روح'، وهناك أخرى تداعبني وأداعبها، لكن لكل رواية قصتها التي لا يعرفها أحد سوى من كتبها، وهي إجابة عن سؤال: كيف بدأت الرواية وفكرتها؟، كنت في ندوة لمناقشة رواية 'أعلمها اللمس'، خلال الندوة حضرتْ امرأة ترتدي زيًا محافظًا للغاية، لمحتُ في عيون الحاضرين نظرةَ تساؤل أحمق: ما الذي أتى بها إلى هنا؟ وتكاد ضحكات السخرية أن تنفجر وسط الأسئلة التي يوجهها إليَّ الحاضرون".

ويضيف "كنت أعرف المرأةَ جيدًا بقدر ما يجهلونها، عندما بدأتْ مشاركتنا الحوار، نسي الناس زيها المحافظ، والتفتوا إلى ثقافتها وقدرتها على قراءة النص الروائي، لم أكن معهم سوى بالجسد، كانت 'روح' تحتلني تدريجيًا، تلك المرأة كانت ملهمتي دون أن تتفق أو تنصب لي شركًا، السؤال حاصرني: ماذا يحدث إن خلعنا أجسادنا وتعاملنا كأرواح فقط؟ بعد انتهاء الندوة كانت الرواية قد أعلنت مولدها: ألوان متباينة وأجساد بلا ملامح، ثم أبدأ في تفكيك تلك اللوحة بحرص لأحصل على أبطال الرواية وتبدأ الكتابة".

وحول لعبه على مستويات متعددة: الحكاية والفكرة والزمن، والعوالم المتوازية: العالم العلوي وعالم الأعراف والعالم السفلي؟ يشير إبراهيم إلى أنه ثمة يقين داخل كل فرد، هذا اليقين لا يتكئ على مسلّمة رياضية أو نظرية علمية أثبتت جدارتها، هو يقين "ارتاحت" له روحه الخاصة، لذا يجلس لوقت طويل محاولًا استدعاء حيواته الأخرى، ويلجأ للخيال أو الوهم، ليطرح الأسئلة: ماذا إن كنت موجودًا في القرون الوسطى، ماذا فعلتُ عندما قابلت الأنبياء - في عمر لا أدركه - وهم ينادون برسالاتهم السماوية، هل ظللت على ديني أم ذهبت إلى دين جديد أم كفرت بكل هذا، هل كنت من الضحايا المؤقتين لهيروشيما وناجازاكي، كيف صارعتُ الديناصور الأخير، هل كان لروحي حظ في أن تحتويها أنثى، هل كان اسمي كارولين أم زينب؟

العديد من الأسئلة تكفي لتصاب بدوار البحر وتنتج روايات كثيرة، تلك هي الحكايات والفكرة، كان على رواية "روح" أن تجرب اللعب مع زمن يساوي صفرًا ليجتمع المليارات من البشر من كل العصور، فجاءت "الوردة" لتحوي هذا العدد من الناس، وتضع العوالم المتوازية في عالم واحد مؤقت؛ يصيب الناس الضجر فيعودون إلى عوالمهم المتباعدة.

ويضيف "حاولت أن أكون محايدًا؛ فلم أنتصر حتى لقناعاتي الشخصية، كل قارئ يستطيع الانتصار لنفسه، هكذا سيقرأ الجميع على اختلاف مذاهبهم الرواية دون إحساس بفوقية الراوي وانتصاره لذاته، على القارئ أن يمارس عنصريته بنفسه، فالراوي هنا لم ينتصر للغة على حساب أخرى، ولا لدين على حساب آخر، فتحدث الجميع بلاغين، والكتاب كان بالرسم، حتى أن شخصية الموسيقار في الرواية عندما كانت تتغلب عليه ثقافته وعاداته وتقاليده، كان يعترف بذلك ويطلب من القارئ أن يتجاوز تلك التعليقات".

يكشف إبراهيم عن حضور الزمن في الرواية كتيمة أساسية، لافتا إلى أن "الحوار المطول بين الموسيقار وعالم الفيزياء بول ديفيز في حقيقته هو محاضرة لبول ديفيز عن الزمان وفيزياء الكم، أعلم جيدًا أن القارئ سيُرهق في تلك القراءة، لكن كان لا بد من 'كوبري' ليتفهَّم الناس فكرة الزمن وأن يصبح صفرًا، لا مستقبلا أو حدثا من الماضي، كلها لحظة واحدة، هذا هو رهان الرواية، لا وجود لحرف 'السين' المستقبلي، فأصبحت المسافات تمثل الزمن، وأصبحت الأفعال كذلك، في غياب الشمس والقمر والليل والنهار، وجدت أن وضعية الحوار ستلطف بعض الشيء قسوة المادة العلمية، حاولت الاختزال عدة مرات حتى وصلت إلى الشكل الذي تمت طباعة الرواية به".

> في رواية «روح» يصبح الزمن صفرًا لا مستقبلا أو حدثا من الماضي فأحداثها تقع في لحظة واحدة

وحول ما إذا كان عنوان "روح" للرواية اسما أم حالة أم كائنا كونيا، يقول "ويسألونك عن الروح، روح اسم حقق لي إجابات كثيرة ارتاح لها ضميري الفني؛ اسم روح ليس دالًا على عنصرية أو تحيز ديني، هو قابل لكل دين حتى الملحدين، هو اسم رمادي، كما أنه لغزنا في الحياة، روح سمّيت به المرأة التي حضرت الندوة، وروح هو كأنه الكون كله".

### الجوائز هي البديل

يلفت إبراهيم إلى أن كل رواية من رواياته لها لعبتها، لكنه يقر بأن رواية "حجر بيت خلاف" - بجمهورها الواسع - تطارده لوقت طويل عبر أسئلة القراء، ويعتقد أن رواية "روح" خارجة عن إطار كل ما كتبه، وليس "حجر بيت خلاف" فقط، فهذه الأخيرة لها بطل شعبي جديد وغرائبيات تخصها فقط، أما "روح" فهي رواية الأسئلة، والقلق وما لا نراه في حياتنا.

ويتابع "حجر بيت خلاف رواية صنعت جمهورها، ربما افتقد القراء والنقاد لتلك التجارب فوجدوا ضالتهم فيها فالتفوا حولها، وهي مخطوط ورقي فازت بجائزة جمال الغيطاني، وعندما خرجت كمنتج ورقي، حظيت بالعديد من القراءات النقدية من أقلام محترمة ومشهود لها بالنزاهة، حتى ذهبت إلى القائمة القصيرة لجائزة نجيب محفوظ في الجامعة الأميركية، حققت القائمة القصيرة انتشارًا جيدًا للرواية من جمهور يهتم بمتابعة الجوائز الكبرى، تعلق القارئ بالجيوكندا وهي تخرج من اللوحة، لقد صدّقوا هذا الأمر، وهذا نجاح أكبر من أيّ جائزة".

ويرى إبراهيم أن الجوائز أصبحت البديل الموضوعي للنقد، يقول "عندما تفوز بجائزة ستسنح لك الفرصة لقراءة ما كتبه المحكمون حول روايتك، وعندما تفوز بجائزة ستجني مبالغ متفاوتة، الجوائز وسيلة مهمة لربح الأموال ولمزيد من الشهرة. لكن يبدو أنّ كثرة المعروض من الجوائز حاليًا أضعفَ قيمتها الفنية، فلم تعد الجوائز تمنح ميثاقها بشرعية المبدع، أقرب الأمثلة على ذلك جائزة مهمة للغاية وهي أحمد فؤاد نجم لشعر العامية، كل عام الجائزة مطالبة بإنتاج عشرة فائزين بقائمتها القصيرة، ووفق حاجز عمري ثابت، وتاريخ محدد للنشر، هل ستفرز مصر عشرة شعراء مبدعين كل عام؟ وإن استطاعت فكم عاما ستستمر في الإنتاج؟ قد يبدو كلامي صادمًا، يمكنك تتبع تاريخ الجائزة ومطالعة المنتج النهائي وبعدها يمكننا الحوار بهدوء".

ويؤكد إبراهيم أنه يمارس برغبة الحياة "الكتابة هي متعتي التي انتخبتها على مهل، طريقتي لفض الاشتباك بشكل مؤقت مع عقلي الباطن، الكتابة هي فعل المجاز لاسمي، وهي فعل مقدس، كل من استهزأ بالكتابة أو استسهلها لن يظل اسمه على أرفف المكتبات، سينتخب الزمن الصادقين".

وعن الحالة السردية في مصر خلال العقد الأخير يوضح "أحاول القراءة والمتابعة، لاحظ أن كلامنا حول العقد الأخير حتى لا أُتَهَمَ بالتجني أو بالتعالي على المبدعين الأقدم تواجدًا، الإنتاج ضخم للغاية، لكنه زائف، ستأخذ وقتًا لتكتشف ضالتك في الكتابة الجادة، لكنك ستجدها، وستجد أفقًا في التجريب، هناك من أنتج عدة روايات فأصبح قادرًا على القبض على منجزه، أو ما يحاول إنجازه، وهناك من كتب روايته الأولى فتوقن أنه مزق العديد من الروايات قبلها".

ويتابع "سعيد للغاية بعودة الروح إلى القصة القصيرة خلال الفترة الماضية، وللحق لا نستطيع تجاهل دور جائزة الملتقى للقصة القصيرة في هذا الشأن، عشرون ألف دولار أميركي قادرة على عودة الكاتب إلى كتابة قصة قصيرة جيدة، مفهوم الكاتب الكبير كان مركزًا على مبدعي الستينات والسبعينات، فعل الزمن لعبته وتساقط العديد بفعل الموت، لم يبق منهم الكثير، ومن بقي منهم لم يعد سوى القليل جدًا مهتمًا بمواصلة الكتابة، هذا منح 'المبدعين الجدد' فرصة للتحليق بأعمالهم بحرية نسبية، لن أذكر أسماء بعينها حتى لا أتورط مع الزهايمر فأنسى بعض الأسماء، لن أقول إن كتابات محمد الفخراني، أحمد الملواني، حسن عبدالموجود، مصطفى الشيمي أحرص على قراءتها، ولن أنصح بمتابعة أحمد أبوديباب، أحمد حلمي، إسماعيل وهدان، ولن أقول إن رواية محمد إبراهيم طه 'شيطان الخضر' فاتنة، ولن أصرّح بمحبتي لكل ما يكتبه عزت القمحاوي بالطبع".

ويتابع "تستطيع ألعاب التسويق أن تؤمّن للكاتب بيع العديد من الطبعات واحتلال صدارة البيست سيلر، لكنها لن تستطيع أن تجعل ناقدًا مثل سيد الوكيل أو محمود عبدالشكور يكتب عن الرواية.. جائزة البوكر الأخيرة كانت تحمل في هوامشها ما هو أهم من الرواية الفائزة، هناك كاتب دخل القائمة القصيرة برواية "عين حمورابي" يؤكد في حديثه على صفحة الجائزة أن روايته لم يقرأها سوى أصدقاء لم يتجاوز عددهم أصابع الكف الواحدة، لكنها وصلت للقائمة القصيرة، هو لم يمتلك مسوقًا جيدًا، لكن الرواية دافعت عن وجودها عندما وجدت من يقرأها.

وعن أعماله القادمة يلفت إبراهيم إلى رواية قيد النشر بعنوان "اسمي سرطان"؛ رواية بطلتها الحكاية، نصف الرواية في صعيد مصر في قرية دندرة بأقصى الصعيد، ونصفها الثاني في هافنارفوجودور في أيسلندا، ترافقنا طوال الرواية خلية سرطانية اسمها تاليا، هناك العديد من السرطانات، سرطان اللغة، الحضارة، الثقافة، المكان، الزمان، وسرطان العقل المتحجر. رواية أتعبتني للغاية على المستوى النفسي، لم أشفِ منها بعد. كما أشتغل على رواية أخرى بعنوان مؤقت "الإسرائيلية"، قد يصبح نهائيا، ستستغرق بعض الوقت في التحضير والمذاكرة، في "أعلمها اللمس" تنقلت الرواية بين أسيوط وأسوان، في "حجر بيت خلاف" كنا في سوهاج، في "اسمي سرطان" تحركنا من قنا، أمّا "الإسرائيلية" فسنتحرك من ملوي بمحافظة المنيا، أتمنى أن تكون رحلة ممتعة.

# جاك لانغ: المغرب ملتزم بالحفاظ على ثقافة يهوده وتراثهم

باريس – أشاد رئيس معهد العالم العربي جاك لانغ، بالتزام المغرب "القوي والمتواصل" بالحفاظ على الثقافة والتاريخ والتراث اليهودي المغربي.

وأكد لانغ في حديث معه، بمناسبة استعداد المعهد لتدشين دخوله الثقافي بتنظيم معرض بعنوان "يهود المشرق.. تاريخ لآلاف السنين"، وهو المعرض الذي سيحتل فيه المغرب "مكانة مرموقة"، أن المغرب "حالة فريدة من نوعها في العالم".

وفي هذا السياق، استعرض رئيس المعهد الجهود التي يتم بذلها حاليا في المغرب لاستعادة التراث اليهودي: أحياء الملاح، والبيَع، والمقابر، والمتحف الذي دُشّن مؤخرا بفاس، والمتحف الحالي في الدار البيضاء... دون إغفال قرار المغرب إدراج تاريخ اليهود المغاربة في المناهج الدراسية.

ويعد معرض "يهود المشرق تاريخ من آلاف السنين" الذي سيقام في الفترة من 24 نوفمبر 2021 إلى 13 مارس 2022، استمرارا لمعرضي "الحج إلى مكة" سنة 2014 و"مسيحيو المشرق.. 2000 عام من التاريخ" سنة 2017، وهي ثلاثية مخصصة للأديان التوحيدية في العالم العربي.

وسيقدم هذا الحدث الثقافي نظرة غير مسبوقة حول التاريخ العريق للجاليات اليهودية في العالم العربي. من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى نهر الفرات مرورا بشبه الجزيرة العربية؛ حيث سيستكشف المعرض الجوانب المتعددة للتعايش بين اليهود والمسلمين، من الروابط الأولى بين القبائل اليهودية في شبه الجزيرة العربية ونبي الإسلام، إلى بروز الشخصيات الرئيسية من المفكرين اليهود خلال الخلافة في العصور الوسطى في بغداد وفاس والقاهرة وقرطبة، ومن ظهور المراكز الحضرية اليهودية في المغرب العربي والإمبراطورية العثمانية إلى بدايات النفي النهائي لليهود من العالم العربي.

وفي ضوء هذا المنظور التاريخي غير المسبوق، يركز المعرض على إشعاع وحفظ ذاكرة تراث هائل وثري. وبفضل استعارة أعمال من مجموعات دولية (فرنسا، وإنجلترا، والمغرب، وإسرائيل، والولايات المتحدة، وإسبانيا)، سيقدم المعهد أعمالا استثنائية في أشكال متنوعة، من علم الآثار والمخطوطات واللوحات والصور الفوتوغرافية ومقتنيات دينية ومن المعيش اليومي، وأخيرا عروض سمعية بصرية وموسيقية.

وقال رئيس المعهد "هذا المعرض سيكون الأول من نوعه في العالم. لأول مرة ستقدم مؤسسة كبرى تاريخ اليهود في المشرق الممتد لقرون".

وسجل أن الأمر يتعلق بحدث "ضخم" حيث "تمت استعارة 281 عملا تقدم التنوع الذي تزخر به الطوائف اليهودية"، مضيفا "سنستفيد من استعارات من المتحف الأثري بالرباط، ومن المؤسسة الوطنية لمتاحف المغرب، ومن متحف بروكلين في نيويورك، ومتحف إسرائيل في القدس، والمتحف البريطاني وبالطبع من متحف اللوفر ومتحف أورسيه ومن مجموعات خاصة".

ولفت لانغ إلى أن "معظم الأعمال هي قطع استثنائية سيتم الكشف عنها للجمهور لأول مرة"، مشيدا بالدعم الثمين الذي يقدمه المغرب لهذا المعرض. وأضاف أن "المغرب يتبوأ مكانة فريدة واستثنائية في هذا التاريخ العظيم الذي يمتد للآلاف من السنين".

ووفقا لرئيس المعهد العربي، فإن هذا الحدث سوف يسلط الضوء على التاريخ الراسخ للوجود اليهودي في المغرب.

وأوضح أن هذا المعرض ينقسم إلى عدة أجزاء، يعرف الأول بالوجود اليهودي في المملكة منذ العصور القديمة وحتى مجيء الإسلام، مبرزا أن "البقايا الأثرية المكتشفة في وليلي، والتي تعود إلى القرن الثاني الميلادي، تكشف عن الوجود القديم للقبائل اليهودية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني".

ولفت إلى أن الجزء الثاني سيخصص لعصر السلالات الحاكمة قائلا "سنقدم عدة أنواع من المعرفة التي ازدهرت في البحر المتوسط، والتي ستظهر التبادل الفكري بين اليهود والمسلمين في العصور الوسطى. وسينصب التركيز على الحاخام موسى بن ميمون، حيث سيتم تسليط الضوء على مساره من قرطبة إلى القاهرة مرورا بمدينة فاس".

جاك لانغ

**سنقدم نظرة غير مسبوقة للتاريخ العريق لليهود في العالم العربي**

أما الجزء الثالث، فسيركز على زمن السفارديم "اللحظة التي شهدت ولادة ثقافة يهودية عربية جديدة في طنجة، تطوان..."، مع "قسم كامل، مرة أخرى، مخصص للمغرب، ثم زمن أوروبا: شبكة المدارس الإسرائيلية العالمية، الرسامين المستشرقين الكبار، مع عرض بعض أعمال أوجين دولاكروا".

بعد ذلك "سيكون هناك جزء خامس عن حياة الجاليات اليهودية مع عرض خاص لصور جان بيسانسينوت عن النساء اليهوديات الأمازيغيات، مجوهراتهن، وملابسهن...". هذا الجزء سوف يسلط الضوء أيضا على أحياء ملاح المغرب.

وتابع "ساهم العديد من الأصدقاء المغاربة في إنجاح هذا المعرض، لاسيما سيرج بيردوغو، الذي سيضع رهن إشارة المعهد مجموعة كاملة من الوثائق الاستثنائية، لاسيما فيلم يجمع بين أرشيفات نادرة: آخر الموسيقيين اليهود المغاربة".

وسيتم تخصيص الجزء الأخير لـ"زمن المنفى"، وسيقدم شهادات اليهود الذين تم نفيهم، والذين يحلمون بالنسبة للمغاربة من بينهم، بشيء واحد فقط "المغرب"، مُرحبا بحضور مغاربة من بين أعضاء المجلس العلمي الذي يحضر لهذا الحدث وهما المؤرخ محمد كنبيب مدير المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب الذي تم إلحاقه بأكاديمية المملكة المغربية، ومينة المغاري رئيسة اللجنة العلمية لـ"بيت الذاكرة".

وخلص لانغ إلى أن "هذا الحدث الكبير الذي سيميز الدخول الثقافي للمعهد سيحظى بالاهتمام في جميع أنحاء العالم، وكذلك الجاليات اليهودية التي ستتوافد عليه من شتى أقطار المعمورة".

اليهود عنصر أساسي في الثقافة المغربية والمتوسطية